مناهج المحدثين
في تدوين السنة النبوية

بقلم الأستاذ : محمود احمد رشيد

يسأل بعض المسلمين، عن المقصود من مسميات بعض الكتب التي جمعت الحديث النبوي الشريف، كالجامع والموطأ والمسند والمصنف، إلى غير ذلك من المسميات، وتشكل معرفة هذه المسميات جزءاً من ثقافة المسلم المهمة، لذلك سأبين في هذا البحث، المقصود بتلك المسميات، وتحت أي منهجية للمحدثين في التأليف تندرج هذه المؤلفات؟

بدأ تدوين الحديث فعلياً ورسمياً في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقد بعث إلى الولاة يحثهم على جمع ما في أمصارهم، من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بعث إلى محمد بن عمرو بن حزم كتاباً يقول فيه: «انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية أوحديث فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله».

وقد توفي عمر بن عبد العزيز قبل أن يبعث إليه أحد ما جمعه، وقد قام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ٢٢٣ هـ) بجمع الحديث استجابة لرغبة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حتى قال الزهري: «لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني» (٢) لكن هذا الجمع لم يكن مرتباً على منهجية معينة.

ومن أوائل من اشتهر بجمع الحديث «الربيع بن صبيح (ت ١٦٠ هـ) وسعيد بن

أبي عروبة (ت ١٥٦) هـ) إلى ان انتهى الأمر إلى كبار علماء الطبقة الثالثة، وصنف الإمام مالك الموطأ بالمدينة، وعبد الملك بن جريج بمكة، والاوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة وسلمة بن دينار بالبصرة» (٣).

ثم بدأت عملية تصنيف الأحاديث في مؤلفات، تعتمد على مناهج محددة، ليسهل الرجوع إلى الأحاديث النبوية الشريفة المجموعة فيها، وهذه المناهج هي:

أ - ترتيب الأحاديث على أسماء رواة الحديث: والمصنفات على هذه الطريقة هي:

١- **المسانيد**: جمع لكلمة مسند، وهو الكتاب الذي يجمع فيها أحاديث كل صحابي على حدة وقد يكون الحديث صحيحاً أو ضعيفاً، وترتيب أسماء الصحابة داخل المسند، إما على أحرف الهجاء، أو على سبقهم للإسلام، أو على أفضليتهم، أو على بلدانهم أو قبائلهم.

ومن أشهر المسانيد المتداولة: مسند الإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ)، ويشتمل هذا المسند على نحو أربعين ألف حديث، عن اربع وتسعمائة صحابي، وقد بدأ مسنده بأحاديث العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم.

٢- **المعاجم**: جمع كلمة معجم، والمعجم، هو الكتاب الذي رتبت فيه الأحاديث على أسماء الصحابة أو الشيوخ أو البلدان، حسب ترتيب حروف المعجم من (أ - ي).

وأشهر المعاجم:

١- المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠ هـ) وهو مرتب على أسماء الصحابة رضي الله عنهم بدأ بأسمائهم حسب ترتيب المعجم، وتحت كل اسم صحابي يورد ما رواه له من الحديث.

٢ - المعجم الأوسط للطبراني وفيه رتب أسماء شيوخه على حروف المعجم، وذكر تحت أسماء شيوخه ما روى عنهم من الحديث.

٣ - المعجم الصغير للطبراني وهو كترتيب سابقه.

ب - ترتيب الأحاديث على أبواب الدين كاملة:

١ - كتب الجوامع:

جمع كلمة جامع، والجامع: هو الكتاب الذي جمعت فيه الأحاديث ورتبت على جميع الموضوعات الدينية، بداية بالعقائد والعبادات والمعاملات والسير، والرقائق، والفتن وأخبار الملاحم وأشراط الساعة وانتهاء بوصوف الجنة والنار.

ومن أشهر الجوامع:

«الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه» للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) والمشهور «بصحيح البخاري».

«الجامع الصحيح» للإمام مسلم (ت ٢٦١ هـ) والمشهور «بصحيح مسلم».

٢ - المستخرجات على الجوامع:

جمع لكلمة مستخرج: هو أن يأتي مؤلف الى كتاب من الكتب التي جمعت الحديث، فيسوق أحاديث ذلك الكتاب، بأسانيد لنفسه، يلتقي فيها مع مؤلف الكتاب في شيخه، أو من فوقه من رواة إسناد ذلك الحديث، وهي مرتبة على أبواب الكتاب المخرَّج عليه.

ومن أشهر المستخرجات:

«مستخرج الإسماعيلي على صحيح البخاري» (ت ٣٧١ هـ) حيث جاء إلى أحاديث صحيح البخاري بأسانيد يلتقي فيها مع شيخ البخاري أو شيخ شيخه أو من فوقهما.

٣ - المستدركات على الجوامع:

جمع لكلمة مستدرك، والمستدرك: كل كتاب جمع مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فات المؤلف الأول ذكرها، وهي على شرط كتابه.

وأشهر المستدركات كتاب «المستدرك على الصحيحين» للإمام الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) أي على صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم، فقد ساق فيه أحاديث على شرط البخاري ومسلم أو على شرط أحدهما، لكنهما لم يذكراها في كتابيهما، وليست على شرط أحدهما أو على شرطيهما.

ج - ترتيب الأحاديث على أبواب الفقه:

١- كتب السنن: وهي الكتب التي جمعت فيها الأحاديث ورتبت على أبواب الفقه، وتشتمل على الأحاديث المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقط، وأما الأحاديث الموقوفة على الصحابة فهي نادرة جداً في السنن.

ومن أشهر كتب السنن:

سنن الدارمي (ت ٢٥٥ هـ)، وسنن ابن ماجة (ت ٢٧٥ هـ)، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥ هـ)، وسنن النسائي (ت ٣٠٣ هـ).

٢ - المصنفات: جمع كلمة مصنف، والمصنف: هو الكتاب الذي رتبت فيه الأحاديث على الأبواب الفقهية، لكن يختلف عن كتب السنة بإيراده للأحاديث الموقوفة والمقطوعة كثيرا، وبذكره لأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وفتاوى اتباع التابعين أحياناً.

ومن أشهر المصنفات:

«المصنف» لأبي بكر بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) و «المصنف» لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١ هـ).

٣ - الموطآت: جمع موطأ، والموطأ لغة: المسهل، واصطلاحاً: هو الكتاب الذي رتبت فيه الأحاديث على الأبواب الفقهية، ويشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، ولا خلاف بين الموطأ والمصنف إلا في التسمية.

وأشهر الموطآت:

«الموطأ» للإمام مالك بن أنس المدني، (ت ١٧٩ هـ).

٤ - الزوائد: وهو كل كتاب يجمع فيه مؤلفه، الأحاديث الزائدة في أحد المؤلفات على مؤلف آخر، ومن أشهر كتب الزوائد، كتاب «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة»

للبوصيري (ت ٨٤٠ هـ).

ذكر فيه الأحاديث التي ذكرها ابن ماجة في سننه، ولم يذكرها البخاري ولا مسلم ولا الترمذي ولا النسائي ولا أبو داود.

د - ترتيب الأحاديث على باب من الأبواب أو موضوع محدد من الموضوعات:

١ - **الأجزاء:** كل كتاب جمعت فيه مرويات راوٍ معين، أو جمع فيها ما يتعلق بموضوع واحد على سبيل الاستقصاء.

ومن ذلك:

١ - **جزء ما رواه أبو حنيفة عن الصحابة** لأبي معشر الطبري (ت ١٧٨ هـ).

٢ - **جزء رفع اليدين في الصلاة**، للبخاري (ت ٢٥٦ هـ).

٣ - **جزء القراءة خلف الإمام**، للبخاري (ت ٢٥٦ هـ).

٢ - **كتب الترغيب والترهيب:** وهي ترغب في الأمور المطلوبة، وترهب من الأمور المنهي عنها، ومنها كتاب «الترغيب والترهيب» لابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ) وذكر إسناده لكل حديث مع الأحاديث، وكتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري (ت ٦٥٦ هـ).

٣ - **كتب الزهد والفضائل والأخلاق والأذكار ومنها:**

١- كتاب «الزهد» للإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ).

٢ - كتاب «الذكر والدعاء» لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢ هـ).

٣ - كتاب «فضائل القرآن» للشافعي (٤).

الهوامش

١ - الدارمي، سنن الدارمي، (٢٨/١).

٢ - الكتاني، الرسالة المستطرفة (ص٤).

٣ - ابن حجر، فتح الباري، (٤/١).

٤ - راجع ما كتبوه حول التعريف بالمؤلفات التي جمعت الحديث الشريف، في مؤلفاتهم:

أ - د. محمود سالم عبيدات، تاريخ الحديث ومناهج المحدثين، دار المناهج للنشر.

ب - د. محمود الطحان، أصول التخريج ودراسة الأسانيد، مكتبة المعارف، الرياض.

ج - د. مناع القطان، مباحث في علوم الحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧ .